

بين مرارة الانفصال وأمان الرعاية كاتب العنزي



إن قضايا الأسرة والمجتمع ليست مجرد ملفات عابرة، بل هي جوهر بناء الإنسان الذي يبدأ من البيت، ومن هنا تبرز ظاهرة الطلاق كمنعطف خطير لا يُنهى علاقة زوجية فحسب، بل يرسم ملامح مستقبل الأبناء بكل تعقيداته. فحين تنهار هذه المظلة الأولى التي يستظل بها الطفل، يجد نفسه فجأة في مواجهة حالة من الاغتراب النفسي، حيث تنهشه مشاعر القلق وفقدان الثقة، وما غياب أحد الوالدين عن تفاصيل الحياة اليومية، أو التشتت بين بيئتين مختلفتين، إلا فجوة عاطفية عميقة قد تنعكس عليه بين الانطواء، أو سلوكٍ عدواني يتخذه دفاعاً عن شخصيته المهزوزة.

ولا يتوقف هذا الأثر عند حدود النفس، بل يمتد ليطل الاستقرار التعليمي والاجتماعي؛ فالتشتت الذهني وغياب الرقابة الموحدة يقودان الطفل نحو تراجع التحصيل الدراسي وضعف الاندماج في محيطه، فضلاً عن التغيرات المعيشية التي قد تدفعه للانسحاب من محيطه الاجتماعي، مما يعيق قدرته على بناء علاقات مستقبلية متزنة.

ومع ذلك، يجب أن ندرك أن الطلاق رغم قسوته قد يكون أحياناً حلاً حتمياً، بل وربما أرحم للطفل من العيش في جحيم الطلاق العاطفي المليء بالصراعات الصامتة أو العنيفة، لكن التحدي الحقيقي يكمن في كيفية إدارة هذا الانفصال بوعي؛ فأبعاد الأطفال عن ساحات المعارك الزوجية وضمان رعاية مشتركة تقوم على الاحترام، هو طوق النجاة الوحيد لحماية فطرتهم السليمة.

وهنا نوجه النداء لكل أب وأم: إن ميثاق الزواج قد ينتهي بكلمة، وأوراق المحاكم قد تفصل بينكما للأبد، لكن ميثاق الأبوة والأمومة محفوظ في القلب قبل أن تكتبه القرارات أو يحويه طلاق. فاتقوا الله في فُلذات أكبادكم، فهم لم يختاروا المجيء إلى هذا العالم، ولا ذنب لهم في نهاية حكايتكم؛ لذا لا تجعلوهم ساحة لتصفية الحسابات، ولا دروعاً تحتمون بها في معارككم، ولا تُثقلوا براءتهم بحمل رسائل القطيعة بينكم.

تذكروا دائماً أن الطفل الذي يرى والديه يتبادلان التقدير رغم الفراق، ينشأ سليم النفس معافى، بينما الطفل الذي يُجبر على الانحياز لطرفٍ ضد الآخر، يتمزق قلبه وتتسوّه نظراته للحياة. إن أكبر انتصار يمكن أن تحققوه بعد فشل الزواج هو نجاحكم في صناعة بيئة آمنة لأبنائكم، فكونوا لهم الحزن الدافئ والسند وإن فرقتكم الحياة، فدمعة طفل في ظل الخلافات ليست عابرة؛ بل أمانةٌ سنُسألون عنها، فكونوا لهم سترًا وأماناً حتى يشد عودهم، ويكبروا في ظل طمأنينةٍ تحفظ أرواحهم، وتغرس في قلوبهم الاستقرار والأمان.

كاتب العنزي

باحث دكتوراه في أصول التربية